الأهرام

المصدر: الوفد

التاريخ : ١ اغسطس ٢٠٠٢

من حق السودان أن يتفاءل ولكن ماذا عن الضمانات؟

بقلم : عباس الطرابيلى

ليس هناك خلاف أن «القاهرة» تنظر ببعض الريبة فيما جرى من اتفاق حول جنوب السودان.. فما جاء الى القاهرة حتى الآن غير واضح. وكنا نتصور أن مهمة السيد على عثمان طه النائب الأول لرئيس جمهورية السودان هى شرح ما جرى للقاهرة الرسمية وإشاعة الاطمئنان فى القاهرة الشعبية، وان حكاية اجتماع اللجنة المصرية- السودانية ما هى الا لتغطية المهمة الأساسية للمبعوث السودانى الكبير. ولكن تطور ومسار السيناريو الذى صاحب هذه الزيارة، يقول عكس ذلك.

●● حقيقة نتمنى ان نصدق كلام السيد على عثمان محمد طه ولن نقول ان القاهرة اكثر حرصا على وحدة السودان من أهل السودان. ولكننا حتى نتفاءل- كما يتفاءل السودان الرسمى الآن- كان يجب ان نعلم حقيقة ما جرى، حتى لا يتكرر ما حدث عام ١٩٥٦ لأنه لو جرى الاستفتاء دون ضمانات كافية فإن السودان سوف يصبح سودانين، وربما ثلاثة.. من هنا جاء الموقف المصرى المشوب بالخطر.. وهو حذر واجب، لأن القضية تهم السودان الموحد، كما تهم القاهرة وكل شعب مصر.

ولكن لماذا يتفاءل السودان الرسمى من الاتفاق الذى تم التوصل إليه وأصبح يحمل اسم: اتفاق ماشوكس؟ تعالوا نتحاور مع النائب الاول لرئيس السودان الذى تحاورنا معه لأكثر من ساعتين، بعد عشاء دعانا اليه فى بيته الدكتور أحمد عبدالحليم سفير السودان فى مصر.

●● فى البداية قال السيد على عثمان محمد ان هناك عدة أسباب تدعو للتفاؤل.

الأول ان الحرب فى الجنوب طالت بعد ان استمرت ١٨ عاما. وهى حرب شرسة دخلت كل بيت فى السودان: فى الشمال وفى الجنوب معا. الشمال دفع الثمن بتمويل هذه الحرب وبتأخير عمليات التنمية. والجنوب تحمل الكثير فى كل قرية ومدينة. ولنا ان نتصور ان قذيفة «آر. بى. جى» واحدة تعنى ثمن القذيفة ونقلها واطلاقها.. ثم نتائج تفجيرها. من هنا زهد الناس فى كل السودان فى هذه الحرب الشرسة. وهذا الزهد دفع كل الاطراف الى السعى نحو السلام.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

ببساطة بشاعة الحرب أقنعت الكل ان الحرب لن تحل القضية.

●● السبب الثانى ان اقتناع كل الأطراف ان هذه الحرب مفروضة عليهم. والكل اما قاتل أو مقتول، فالذين خططوا للحرب رسموا خطة لاستخدام السودان وموارد السودان لتحقيق أهداف غير سودانية الآن تغيرت الصورة.. اقتنع الذين خططوا لهذه الحرب ان مصالحهم تغيرت.. ولهذا كان عليهم ان يغيروا موقفهم منها.. فكان «قرارهم» هو البحث عن السلام.. اما هؤلاء فهم الغرب.. وهم أمريكا بالذات

●● سبب آخر يدعو السودان الرسمي إلى التفاؤل هو الأوضاع الاقتصادية.. أو هو بمعني أدق البترول.

فالبعض كان يري أن البترول - بما أنه فى الجنوب - من عوامل الانفصال، خصوصاً أن جون قرنق كان يطالب بعدم «تصدير» البترول من الجنوب، لأنه ملك للجنوبيين. بل امتدت عملياته العسكرية إلى ضرب خطوط نقل هذا البترول.

الآن تغيرت الصورة.. فالبترول لم يعد مقصوراً على ولايات الجنوب الثلاث. بل أثبتت عمليات البحث والتنقيب والاستكشاف - كما يقول النائب الأول للرئيس السودانى - إن البترول موجود فى كل أنحاء السودان أى أن كل السودان سوف ينعم بخيرات هذه الثروة البترولية، بل إن سيادة النائب يقول إن الأرقام تقول إن احتياطي البترول فى السودان يضع السودان فى المركز الثانى بعد المملكة العربية السعودية من حيث الاحتياطي، وهذا بالتالي يضع القوي الكبرى التى تسعى للسيطرة على البترول إلى أن تضع حداً لهذه الحرب، حتى تستقر الأوضاع ويبدأ الإنتاج الكمي الكبير ليخرج إلى أسواق هذه القوي.

●● أى أن تأكد وجود البترول بهذه الكميات الهائلة فى كل السودان غير موقف القوي الكبرى من النقيض إلى النقيض!!

فالقوى الكبري التى كانت تؤجج الحرب كانت تهدف إلى أن تصبح الحرب مانعة لظهور البترول ليظل احتياطياً لمطامعها الدولية.. وقد نفذت شركة شيفرون للبترول - وهي أمريكية - هذه السياسة فتأخر اكتشاف البترول إلى أن أجبرت الشركة على التنازل عن امتيازها فى السودان، أى أن الشركة «جلست» على الامتياز.. وحبست البترول ومنعت ظهوره لأسباب سياسية!!

وببساطة: كما كان البترول سلاحاً ضد السودان ودافعاً للحرب، أصبح سلاحاً مع السودان ودافعاً للسلام.. وتم منح شركة صينية حق البحث عن البترول وظهر البترول.

ونعترف أنه بسبب هذا البترول وصل الموقف الأمريكى من السودان إلى حد ضرب المصانع السودانية تحت دعاوى أنها تنتج مواد خطيرة. الآن مع تغير المصالح العالمية وبعد أن ظهر حجم هذا الاحتياطى، نجد أن هذه المصالح العالمية تدفع القضية نحو السلام.

●● ويتواصل حوارنا مع النائب الأول لرئيس جمهورية السودان - إن عمر السودان المستقل هو ٥ عقود.. أضاع منها ٣ عقود فى الحرب، وقد تأخر لذلك وصول السودان إلى مزاج وطني واضح، وإذا كانت محطة أديس أبابا عام ١٩٧٢ قد جاءت بفترة استقرار للسودان امتدت بين ١٠ و١٢ عاماً إلا أن أبناء الشمال وأبناء الجنوب لم ينجحا فى استثمار هذا الاستقرار فقد زادت الفرقة بين الجنوب والشمال عندما ترسخت عملية قصر معظم الوظائف في الجنوب على الجنوبيين، وبالتالي ضاعت الفرصة فى إجراء حوار شمالي - جنوبي على مستوى يغلب المصلحة العليا للسودان الموحد..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

وحتى نؤكد ذلك - يقول سيادة النائب - فإن حكومة الانقاذ فتحت ملف الجنوب في أكتوبر ٨٩ أي بعد أسابيع من توليها الحكم حتى تقطع خط الرجعة أمام القوى الأجنبية.. وبدأ الاتصال بالحركة الشعبية لخلق قواسم مشتركة حول القضايا المعلقة، ولكن هذا لم يستمر بطريقة إيجابية. ذلك أن جون قرنق كان يرفض الدخول في أي حوار مع الخرطوم أو يجري أي اتصال خصوصاً بعد كل مرة يعود فيها من الولايات المتحدة.

وامتدت الاتصالات - بعد ذلك - في نيروبي وفي أديس أبابا.. وفي أبوجا تم التوصل إلي اتفاق وتناول الحوار فيه شكل الدولة - في المستقبل - والثروة والدين والمشاركات.. وبقيت نقطة هي تقسيم السلطات.

إلى أن وقعت أحداث ١١ سبتمبر.. وما حدث بعدها من ضرب أفغانستان.. وتصاعد مشكلة فلسطين.. هنا رأت أمريكا أنها أصبحت بحاجة إلى تحسين صورتها على الأقل في المنطقة العربية.. فلم تجد واشنطن إلا الملف السوداني تحسن به وجهها.

وكانت الخشية - في حالة انفصال الجنوب - أن يتحول الشمال السوداني إلى السلاح بحثا على السلام.

●● وسألنا: وماهي عناصر الاطار الذي تم التوصل إليه؟!

- الاطار الذي تم يتحدث عن وحدة السودان.. أي يكون الحل في اطار وحدة السودان من خلال دولة واحدة موحدة السيادة..

وسألت وما هي الضمانات..

- كان الكلام في الماضي من طرف قرنق يدور حول دولة كونفيدرالية.. الآن أصبح حديث قرنق يدور حول نظام فيدرالي. بل ليس هناك مسميات فيدرالية أو كونفيدرالية.. بل الحديث الآن عن دولة. وعن ولايات.. عن دستور اتحادي.. ثم دساتير للأقاليم. سيكون هناك دستور للاقليم الجنوبي ودستور لكل ولاية ومجلسان برلمانيان. ولمجلس الشيوخ حق حل أي قضية تنشب.. أي أن الجنوب نفسه يمكن أن يصبح ولايات.. والجنوب هنا هو نفسه المعروف بمديرياته الثلاث. ولأي ولاية في الجنوب أن ترفع شكواها للمجلس المركزي «الشيوخ».

وماذا عن الجيش!!

- هناك اعتراف بالجيش السوداني الرسمي مع بقاء جيش الحركة الشعبية لمدة ٦ سنوات.

وسألنا: هل البترول نقمة.. أم نعمة؟!

قال: في الماضي كان البترول نقمة لأنه كان سببًا أساسياً لاستمرار الحرب. الآن البترول نعمة لأنه وراء محاولة الوصول إلى السلام.. وإذا كان متوسط الانتاج الآن يدور فقط حول ٤٠٠ ألف برميل يوميا.. إلا أن الأرقام المتوقعة بعد استمرار عملية السلام أكبر مما يتوقع أي متفائل..

وهنا - يقول سيادة النائب - فإن الكمية لا تهم بل المهم هو انتشار البترول في كل أنحاء السودان.

●● وسألت: وماذا عن الثقة.. هل هناك ثقة فيما يقوله جون قرنق؟!

هنا لم نحصل على جواب.. بل قال إن المهم الان هو التواصل في الحوار.. وإن الحوار صار أكبر وأن ما يجمع السودانيين الآن أصبح أكبر مما كان يفرق بينهم. فالحرب لم تكن طوعية من أحد الطرفين.. ولكنها كانت مصنوعة. استغل فيها قدر من المطالب المشروعة بدليل ان هذه الحرب الاهلية في الجنوب بدأت قبل ان يحصل السودان على استقلاله.

●●●

●● ونقول: نعم ان الحرب طالت أكثر مما يجب وان خسائرها فوق طاقة تحمل الطرفين.. كما ان هذه الحرب لن تؤدى الى نتائج سياسية حاسمة ولهذا كان لابد من الوصول الى اتفاق وكما عرفنا فإن الجنوبيين لم يعودوا يطالبون بضم جبال النوبة وجنوب مديرية النيل الأزرق.. والأهم الآن هو بناء الثقة.. بناء جدار الثقة بين الطرفين.

●● ولكن تبقى عدة تساؤلات:

● ماذا لو جاءت نتيجة الاستفتاء بانفصال الجنوب؟.

● وماذا عن دور شمالي في الجنوب خلال فترات الاستفتاء وهي ٦ سنوات.. هل ستتواجد الخرطوم في المناطق التي يديرها الآن جون قرنق بمعنى آخر، هل سيسمح قرنق بتواجد حكومي فيما تحت يده من أراض؟!

● بمعنى أكثر دقة: من يدير السودان شماله وجنوبه خلال هذه الفترة.. وماذا عن عمليات تنمية الجنوب وتنفيذ مشروعات الخدمات وهل سيعود اللاجئون الذين هربوا من مناطق الصراع إلى قراهم في الجنوب؟.

● ثم من سيعمل على تعزيز عوامل الاتحاد داخل الجنوب.. حتى لا يتم تعزيز عوامل الانفصال؟.

●● ويبقى الهاجس الموجود في الوجدان المصري. القاهرة الرسمية.. والشعب المصري.. وما الذي يضمن ألا ينتهي الامر الى انفصال حقيقي.. ويكون كل شيء قد اصبح أمرا واقعا.

●● اننا نرفض أي تهميش للدور المصري وان كنا نعترف بحق السودانيين في حكم كل السودان، الا ان قضية الأمن القومي المصري يجب ان تظل هاجسا مصريا رسميا وشعبيا.. حتى لا يزداد تباعد مصر عن السودان.. وتباعد الخرطوم عن القاهرة.

●● والدور الآن على حكومة السودان لكي تقول للقاهرة.. كل شيء!!

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية